جمالية الإنزياح ودلالته الفنية في سورة نوح

طالبة الماجستير آلاء محمد حسين
كلية الإلهيات ـ جامعة فردوسي مشهد - إيران
alaa.2020m0hammad2020@gmail.com

The phenomenon of technical displacement in surat Nuh

Master's student Alaa Mohammad Hossein
Faculty of Theology , Ferdowsi University of Mashhad , Iran

الملخص:-

إن الانزياح مصطلح يبرز في قدرة المبدع على اختراق المتناول المألوف، أو كما يقال إنه مضاد لما هو معتاد. والغرض الرئيسي من هذه التقنية هو مفاجئة المتلقي وإثارة دهشته؛ لأنها تخالف القواعد المألوفة في المعيار اللغوي. اسلوب الانزياح انتاج ابداعي ملازم دائما للخطاب الأدبي، بوصفه يحتوي على ركيزتين اساسيتين، الأولى الخروج عن البنية المثالية الاصلية، وتجاوز مستوي الخطاب العادي المالوف والثانية البنية الجمالية التي تقف وراء البني الابداعية وتدعم تاثيرها في المتلقي، ومن هنا تاتي اهمية هذه المقالة التي تحاول الوقوف على ابرز صور الانزياح في سورة نوح عليه السلام وبيان جماليتها ودورها الدلالية والبلاغي عن طريق تحليل البنية اللغوية تحليلا عميقا يكشف عن المفارقة بين دلالة البنية السطحية الظاهرة ودلالات البنية العميقة.

بعد دراسة هذه السورة وتتبع ظواهر الانزياح فيها وجدنا ان بعض هذه الظواهر قد تجلت بشكل ابرز من ابرزها تكرار حرف الالف في فواصل الايات في المستوى الايقاعي وفن التقديم والتاخير، وفن النداء، والعطف بحروف النسق، والذكر والحذف في المستوى التركيبي، و استخدام مفردات دون أخرى في المستوى الصرفي، وقد كشفت هذه الظواهر بمجملها عن العديد من الدلالات الهامة فضلا عن خلق الجماليات الفنية في تضاعيف السورة تتمثل في شدة كفر قوم نوح وتشبثهم المستميت باصنامهم، وانغماسهم المتمادي في النعيم الدنيوي، وصدوفهم الفاحش عن الدعوة الوحدانية من جانب، وحرص نوح العظيم على هدايتهم وشدة أساه وحزنه لاعراضهم عن مسار التوحيد الرباني، ورحمته الواسعة وصبره الجميل من جانب اخر.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة الانزياح، الفنون البلاغية، سورة نوح.

Abstract:-

Displacement is a term that stands out in the creator's ability to penetrate the familiar reach, or as it is said that it is antithetical to what is usual. The main purpose of this technique is to surprise and surprise the recipient; Because it violates the usual rules in the linguistic standard. The displacement style is a creative production always associated with literary discourse, as it contains two main pillars, the first is a departure from the original ideal structure, and transcending the level of ordinary, familiar discourse, and the second is the aesthetic structure that stands behind the creative structures and supports its impact on the recipient, hence the importance of this article comes The most prominent images of displacement in Surat Noah, peace be upon him, and a statement of its aesthetic and semantic and rhetorical role by analyzing the linguistic structure, a deep analysis that reveals the paradox between the significance of the apparent surface structure and the connotations of the deep structure. After studying this surah and following the phenomena of displacement in it, we found that some of these phenomena were most prominently manifested, most notably the repetition of the letter “alif” in the breaks of verses in the rhythmic level, the art of presenting and delaying, the art of calling, and conjunctions in the letters of the pattern, dhikr and deletion in the syntactic level without others, and the use of vocabulary On the morphological level, all of these phenomena revealed many important connotations as well as the creation of artistic aesthetics in the doubling of the surah represented in the severity of the blasphemy of Noah’s people and their desperate clinging to their idols, and their prolonged immersion in worldly bliss, and their obscene failures on the monotheistic call on Noah on the one hand, Their guidance and the severity of his grief and sorrow for their turning away from the path of divine monotheism, and his vast mercy and beautiful patience on the other hand.

Key words: the phenomenon of displacement, rhetorical arts, Surat Nuh.

المقدمة:ـ

جاء في تعريف الانزياح في مقاييس اللغة ان: "الزاء والياء والحاء أصلٌ واحد، وهو زوال الشيء وتنحّيه، يقال: زاح الشيء يزيح، إذا ذهب"[١] كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة" :انزاحَ انزياحًا، فهو مُنزاح، والمفعول مُنزاحٌ عنه، وانزاح الشَّيءُ: زاح؛ ذهب وتباعد، وانزاحَ عن مقعده: تنحَّى عنه وتباعد." وهكذا؛ فالانزياحُ في اللغةِ يرتبط بالذَّهاب والتباعد والتنحي، وفي كل هذا تغييرٌ لحالة معينة وعدم الالتزام بها[٢].

اما في تعريف اصطلاح الانزياح فقد قيل ان "الانزياح خروج عن المألوف والمعتاد، وتجاوُزٌ للسائد والمتعارف عليه والعادي، وهو في الوقت نفسه إضافةٌ جمالية يمارِسها المُبدع لنقل تجرِبته الشعورية للمتلقي والتأثير فيه، ومِن ذلك لا يُعَد أيُّ خروج عن المألوف وتجاوُزٍ للسائد وخرقٍ للنظام انزياحًا إلا إذا حقَّق قيمةً جمالية وتعبيرية[٣]. وقد تبنَّى هذا المفهومَ عددٌ مِن الباحثين والنقاد، ومنهم جون كوهن الذي يرى أن الشرط الأساسي والضروري لحدوثِ الشِّعرية هو حصول الانزياح، باعتباره خرقًا للنظام اللُّغويِّ المعتاد.

يجدر التنويه إلى ان الانزياح رغم أنه مصطلحٌ حديث ارتبط بالأسلوبية وبالشعرية الحديثة، فإن للمفهوم الذي يدل عليه جذوراً بلاغيةً تعودُ إلى البلاغة اليونانية، كما نجد عند أرسطو الذي كان يُفرِّق بين اللغة العادية المعروفة والشائعة، وبين اللغة الغريبة غير المألوفة، مؤكداً أن الثانية هي اللغة الأدبية لأنها - كما يرى كوينتليان - تعبيرٌ عن الحركية والتجدُّد والحياة، على عكس اللغة العادية الدالة على السكون والنمطية المُملَّة[٤].

كما ان من خلال دراستنا للأدب العربي التليد يمكننا القول ايضا إن الانزياح ظاهرةٌ مُهمَّةٌ في اللغة العربية؛ فهو وسيلة لتوسُّعها، وأداة فنية وجمالية عرَفَتْها اللغة منذ القديم؛ حيث نجد أن العرب قديمًا تنبَّهوا للظاهرة، ولو بمصطلحات أخرى أهمُّها العدول؛ كما نجد عند ابن جني، وعبد القاهر الجرجاني، والقاضي الجرجاني، وابن رشيق القيرواني، وغيرهم.

الانزياح هو خروج الكلام عن نسقه المثالي المالوف، او هو الخروج عن المعيار لغرض قصد اليه المتكلم او جاء عفو الخاطر لكنه يخدم النص بصورة او باخري وبدرجات متفاوتة. يعتبر الانزياح من اهم الظواهر التي يمتاز بها الاسلوب الأدبي من غيره؛ لانه عنصر يميز

اللغة الأدبية ويمنحها خصوصيتها وتوهجا والقها، ويجعلها لغة خاصة تختلف عن اللغة العادية، ولذلك نرى كبار نقاد الأدب من امثال سبترز وجروج مونان وتودورف وجان كوهن يتخذون من ظاهرة الانزياح في النص الأدبي اساسا للبحث في الخواص الاسلوبية التي تميز بها مثل هذا النص(٥).

ان اهم المباحث الاسلوبية يتمثل في رصد انزياح الكلام عن نسقه المالوف او كما قال جان كوهن رصد الانتهاك الذي يحدث في الصياغة، والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الاسلوب الأدبي، بل ربما كان هذا الانتهاك هو الاسلوب ذاته وما ذاك الا لان الاسلوبيين تعاملوا مع اللغة على اساس انها مستويين الاول مستواها المثالي ويتجلي في هيمنة الوظيفة الابلاغية على اساليب الخطاب والثاني مستواها الابداعي الفني الذي يخترق الاستعمال المالوف للغة وينتهك صيغ الساليب الجاهزة ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات اسلوبية وجمالية تحدث تاثيرا خاصا في المتلقي(٦).

فالمستوى المثالي او العادي هو الذي يعتمد النحو التقعيدي في تشكيل عناصره، كما يعتمد في تنسيق هذه العناصر، ثمرة الترابط بيما يقول به النحاة وما يقوله به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استخدامها المالوف، وهي مثالية افتراضية اكثر منها تطبيقية واقيعة ولعل هذه النثالية الافتراضية هي التي كانت وراء كثير من المقولات النظرية في الدراسات النحوية والغوية كتقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وسائر القواعد النحوية واللغوية التقليدية .

وعلي خلاف شريحة اللغويين والنحاة فان النقاد والبلاغيين عنوا باللغة الفنية وحرصوا على تاكيد صفة مخالفة لابد من تحقيقها في استخدام الفني للغة، هذه الصفة هي المغايرة او الانزياح عن القواعد والمعايير التي تحكم اللغة العادية اي ان النقاد والبلاغيين لا يتلفتون إلى ما يحرص عليه النحاة واللغويون من ابرزا الكلام في صورة مثالية تلتزم بالقواعد في صرامة ودقة، بل هم يوكدون على انتهاك هذه المثالية والانزياح عنها في الاداء. غير ان هذا لا يعني انصراف النقاد والبلاغيين او جهلهم بمثالية المستوى العادي من اللغة الذي اقامه النحاة واللغويون، بل ان هذا المستوى بمثاليته لم يغب عن اذهانهم لحظة واحدة لانهم جعلوا منه مرآة يتعكس عليها انزياح السمتوي الفني ومعيارا يقيسون عليه مقدار هذا الانزياح(٧).

فالانزياح يحدث عندما يكسر الخطاب والنص الأدبي القواعد اللغوية الموضوعة او يخرج

عن النمط المالوف او يبتدع صيغا واساليب جديدة او يستبدل تعبيرات جديدة باخري قديمة او يقيم نوعا من الترابط بين لفظين او اكثر او يستخدم لفظا في غير ما وضع له اصلا، وهذا الخروج عن الاستعمال العادي للغة يطل عليه عدة مصطلحات ابرزها مصطلح الانزياح(٨).

بصورة مجملة نستخلص من التعاريف السابقة ان الانزياح هو الفيصل من الكلام بين الكلام العادي والكلام الأدبي كما يمكن اعتبار الانزياح الاسلوب الأدبي ذاته من جانب اخر(٩).

تنقسم مستويات الانزياح إلى عدة متسويات هي المستوى الدلالي، المستوى الايقاعي والمستوى النحوي الصرفي وهي كالتالي:

المستوى الصرفي: اما المستوى الصرفي فهو يهتم بالجوانب العاطفية والدلالية للأفعال والاسماء بحيث يعتني بالمفارقات الدلالية بين الاسماء والفعال وما لها من دلالات مختلفة كما في استخدام صيغ اسماء بدل أخرى بهدف التعبير عن غرض خاص.

والمستوى النحوي: وهي الانزياحات التي تحدث في الظواهر النحوية والتي تخرج عن قواعد النحو العربي ومعاييره المالوفة كما في ظاهرة التقديم والتاخير والحذف والذكر(١٠).

المستوى الصوتي: وهو يهتم بالانزياحات التي تحدث في الظواهر الصوتية التي تحدث نوعا من التاثير الايقاعي و توحي بموسيقاها كالتكرار اللفظي والمعنوي والحروف

والمستوى الدلالي: وهو ان يستخدم مفردة بدل أخرى لدلالة بلاغية.

وتظهر جمالية الانزياح في خلق امكانيات جيدة للتعبير، والكشف عن علاقات لغوية جيدة تقع في علاقة اصطدام مع ما يتوافق معه الذوق، وما تأسس في معرفة الإنسان الأولية، ومسألة الجيد والغريب التي تعكسها ظاهرة الانحراف، ما هي إلا ترسيخ للشعرية والتي هي هدف كل عمل أدبي، وهي توقع من خلال دلاتها الكامنة أثراً كبيراً في نفس المتلقي(١١).

ويكمن الأثر الجمالي للانزياح عند كثير من الأسلوبين الدهشة التي تولدها مفاجأة القارئ بما لم يعهده ولم يتوقعه من التراكيب اللغوية، والقارئ من طبعه الملل بسرعة، فلابد بين الحين والآخر أن يكون للمؤلف القدرة الكافية لخلق نوع من الإثارة من خلال مفاجأة القاري، وهذه المفاجاة لا تحدث الا من خلال التمسك بظاهرة الانزياح(١٢).

الرغبة في الوقوف على صور ظاهرة الانزياح وابعاده الدلالية والجمالية في التعبير القرآني حدت الكثير من الباحثين إلى تناول السور القرآنية اذ ان الانزياح ظاهرة بلاغية تبرز وجوها من وجوه الاعجاز القرآني وتدلل على ما وهب المولي تعالى لغة التنزيل من امكانيات متعددة وقدرات فائقة في التصرف في التعبري والتعدد في الدلالات.

تعد ظاهرة الانزياح من اكثر الظواهر الاسلوبية ترددا واوسعها انتشارا في النص القرآني وقد تناول الباحثون العديد من الصور القرآنية لكن لم يتناول احد ظاهرة الانزياح في صورة نوح رغم ما تمتاز به من جماليات اسلوبية وفنون بلاغية ودلالات واسعة لذا نسعي في هذه الدراسة إلى رصد صور الانزياح واستجلاء ما يشعّه في ذلك البيان الخالد من قيم و اسرار ودلالات وجماليات فنية.

نبذة عن سورة نوح عليه السلام.

سورة نوح تعدُّ سورةُ نوح من السور المكية، حيث نزلَت على النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلم- في مكة المكرمة بعد سورةِ المعارج، وهي في الجزءِ التاسع والعشرين وفي الحزب السابع والخَمسين، رقمُها من حيث الترتيب في المصحفِ الشريف ٧١، عددُ آياتِها ٢٨ آية، سُمِّيَت السورة باسم نبيِّ الله نوح -عليه السلام- لأنها تحدَّثت عنه من أوَّلها إلى آخرِها(١٣).

أما عن مضامين سورة نوح فقد تناولَت هذه السورةُ قصَّة نبيِّ الله نوح -عليه السلام- من بدايةِ دعوته إلى لحظةِ الطوفانِ الذي أغرقَ الله به قومَه الكافرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وذكَرت الآياتُ صبرَ نبيِّ الله نوح -عليه السلام- وجهادَه والتضحياتِ التي بذلَها في سبيل هذه الدعوة التي كلَّفهُ الله تعالى بها، لكنَّ قومَه كانوا يتكبَّرون ويرفضونَ الحقَّ ويُعرضون عن دعوته -عليه السلام-؛ قالَ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾، وبسببِ موقفِ قومه دعا عليهم سيِّدنا نوح -عليه السلام- بالهلاك والدمار حتَّى لا يكونوا سببًا في إضلالِ وإفسادِ من يأتي بعدَهم من النَّاس؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا

كَفَّارًا﴾، وفي ختام السورة دعا بالمغفرة والرحمة لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

اما فيما يتعلق بفضلُها فانه يكمن في تطبيقِ ما جاءت به من أحكام سنَّها الله تعالى للمسلمين في كتابه العظيم، كالحثِّ على الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى دائماً، فلا فضلَ في قراءة القرآن دون عملٍ بما جاء به من أحكام وقواعد تكفلُ السلامةَ والنَّجاةَ والطمأنينة للإنسانِ في الدُّنيا والآخرة.

يحاول الباحث من خلال اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في هذا المقال الاجابة على السوالين التاليين

ما هي ابرز انواع ومستويات الانزياح المتجلية في سورة نوح عليه السلام؟

ما هي ابرز دلالات الانزياح الفنية في هذه السورة؟

تحليل الانزياح في السورة

المستوى النحوي والصرفي في السورة:

برزت ظاهرة فن التقديم والتاخير من بين سائر الفنون النحوية حتى شكلت ظاهرة فنية بارزة في السورة. ومن ابرز تجليات الانزياح النحوي ضمن فن التقديم والتاخير في السورة قوله تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح، ١٢)

يلاحظ هنا ان نوح في امر دعوة قومه وترغيبهم قدم ذكر نعم الدنيا والاموال والبنين على ذكر الاخرة وانزياح التقديم هذا يكشف عن نفسية قومه المنغسين في متع الدنيا وابتعادهم عن آمال الاخرة ونعيمها كما ان تقديم الاموال على البنين يكشف عن مكانة المال السامية في نفوسهم حتى انهم يفضلونها على الاهل والبنين.

وكذلك ما يشاهد في استخدام حرف عطف الواو في قوله تعالى ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح، ٧)

مما يلاحظ هنا ان القرآن يستثمر حرف العطف ويحشده في الاية يشكل بذلك ظاهرة انزياح ليعبر عن الحالة النفسية لقوم نوح عليه السلام، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا) تامل في حرف العطف الذي توارد على هذه الاية كيف حشد ليصور لنا المشهد النفسي لهولاء الكفرة، وهم يستجمعون اقصي ما اوتوا من الطاقات والادوات لعدم سماع دعوة نبيهم، حتى ان شدة حرصهم على ذلك يصورها لنا التعبير القرآني في انهم لو كان بمكانهم وضع أصابعهم في اذانهم يكفي في اغلاقها جزئ من الصابع، فهذا الحشد النفسي، تجي الواو لتستجمع كل ما لديهم من طاقات في سبيل الحليولة دون سماع الحق، ولعل في اختيار حرف الواو دون غيره من حروف العطف، ليصور لنا ان هذه الصفات لا يترتب بعضها على بعض، اذ انها تداخل بعضها في بعض، وطويت في زمن واحد، بل لحظة واحدة.

ويظهر الانزياح النحوي متمثلا في فن التقديم ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح، ٢٨)

ونلاحظ هنا ان نوح في قوله ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ خص المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم، ثم عمم الدعاء، فقال: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ وهكذا فان انزياح التشديم والتاخير هذا يكشف عن اهمية المقدم كما ناحظ هنا ايضا ان نوح رغم غضبه وانزعاجه من قومه الا انه ختم السورة بايات الرحمة وطلب الغفران للمومنين وبذلك كشف الخطاب عن عطفه ورأفته وهو في قمة الغضب جراء كفر قومه.

ويتجلى الانزياح ايضا في قوله تعالى ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح، ١٤) مما يلاحظ هنا في قوله (وقد خلقكم اطوارا) ان الله الذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد ويلزم طاعته بعيدا عن الكفر والشرك كما ان في ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على الإقرار بالمعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم.

وكذلك من مظاهر الانزياح النحوي ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (نوح، ٢٥)

هنا نلاحظ حالة الغضب والحزن التي استولت على نوح عليه السلام جراء كفر قومه وعنادهم فنراه يشكتي عند ربه ان هولاء قد اضلوا الاخرين فضلا عن ظلالهم وبذلك قد بلغوا اقصي درجة الظلال حتى باتوا كالمرض المستشري المعدي لا يزول الا باستئصاله لذا دعا عليهم وسرعان ما استجاب الله له مباشرة في قوله من خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا... ويلاحظ هنا ظاهرة انزياح نحوية تتمثل في تقديم عبارة "من خطيئاتهم" على فعلها" اغرقوا" ليؤكد ان ذاك الجزاء اتي جراء الخطيئات كما ان هناك انزياح اخر فقد طوي حرف الفاء زمنا طويلا يمتد من اخر لحظة في الحياة الدنيا إلى اخر ما يستقر من مصير المرء في الاخرة، كالفاء في لفظة فادخلوا من قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصاري فالزمن الذي طوي لا يساوي شيئا اذا ما قورن بما ينتظرهم، فيكون في طي الزمن هذا، بيان لما اعقبه وقد احس بهذا الملحظ بعض المفسرين كالالوسي حين قال: وهو على هذا لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال، وفكانه شبه تخلل ما لا يعتد به بعدم تخلل شي اصلا(١٤).

من ابرز تجليات الانزياح النحوي ما يظهر في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ مما يلاحظ ان اول ما بدا به نوح رغم معرفته بتعنت قومه هو انه خاطبهم بعبارة(يا قومي) وهذا الانزياح المتكرر طول السورة يهدف إلى استمالتهم واستقطابهم. وكذلك نشاهد الانزياح في تكراره لمنادة ربه تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ وكما هو معروف في البلاغة ان كثرة النداء تهدف إلى استمالة المتلقي كما اننا هنا ايضا نجد نوح يصرح بانّه نذير.

ومن نماذج الانزياح الصرفي يبدو في قوله تعالى ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح، ٢٣) وهنا نلاحظ انزياح صرفي يتمثل في مفردة كبار بمعني الكبير وهي تحمل شحنة دلالية اكبر فقد استخدمت الاية مفردة كبّار المشددة وكما في القاعدة الصرفية زيادة المبني والتشديد تدل على زيادة المعني وهذا ما اراد نوح ايحاءه اي انهم مكروا مكرا كبير جدا وهو بذلك انما يتشكي منهم كما ان نون التاكيد في قول القوم الحاثّ على عدم ترك الآلهة يدل على شدة تعنتهم وكفرهم واصرارهم في

مقاومة الدعوة وبغضهم للايمان واهله. وكذلك تعداد الالهة فردا فردا يكشف عن شدة تمسكم باصنامهم ورفض الدعوة الحنيفة.

المستوى الدلالي في السورة:

من ابرز تجليات الانزياح في المستوى الدلالي قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ (نوح، ١) اذ نلاحظ ان الاية تصرح ان الله ارسل نوح إلى قومه للانذار ولم تشر إلى التبشير كما هو شأن رسونا محمد ص اذ قال الله تعالى عنه لقد ارسلنا مبشرا ونذيرا ممّا يدل على شدة كفر نوح وبقاء غالبيتهم على امة الكفر والشرك ورفضهم للوحدانية والدين الحنيف وهكذا فان انزياح الاية عن التبشير وذكر مجرد الانذار يوحي بدلالة شدة كفر الذي كان يكنّه قوم نوح عليه السلام.

وكذلك في قوله تعالى ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (نوح/٤) فلم يصرح هنا بالبشارة الا بطرف خفي وهو الاية التالية (يغفر لكم من ذنوبكم...) مما يدل على شدة انغماس القوم في الكفر و الشرك والموبقات وبعدهم عن موضع التبشير من جانب وغضب الله تعالى عنهم من جانب اخر وهكذا استطاع هذا الانزياح ان يعبر عن شدة الكفر وسؤرة الغضب الرباني في آن واحد.

ويلاحظ الانزياح الدلالي أيضا في قوله ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح، ١٦)

ومما يلاحظ هنا ان الله استبدل أيضا على خلقهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وذكر السماوات في الحقيقة اتي ليثبت لهم حقيقة خلقهم من خلال خلق ما هو اعظم وهكذا فان ظاهرة الانزياح المتمثلة هنا بذكر شيء استدلالا على وجود اخر او حذف شيء والاستدلال عليه من خلال ذكر الاخر اتت لتخدم فكرة نشأة الانسان على يد الله. كما يلاحظ ان هذه الآيات تنبيه على عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، وبالتالي فان العظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى.

ومن نماذج الانزياح الدلالي قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ (نوح، ٦) مما يلاحظ هنا ان نوح في هذه الآية وصل الليل بالنهار في دعوته وهذا الانزياح يدل على شدة مثابرته وسعيه الحثيث لهداية قومه. كما يلاحظ ان هذه الكم من الدعاء المستمر ليلا ونهارا كان يجابه بحركة معكوسة تتمثل في فرار قومه وبذلك يتضح من خلال حجم الدعاء حجم الفرار واعراض القوم وبذلك يتجلى الكم الهائل من نفرتهم وبغضهم لنوح عليه السلام ودعوته.

ومن تجليات الانزياح الدلالي قوله ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (نوح، ١٨) نظرا إلى ان قوم نوح كانوا ينكرون الربوبية فقد ركزت الاية الأولى على خلق ادم من تراب ولم تشر إلى خلقه من النطفة لان خلق ادم اعظم وبالتالي فهو برهان اكبر على ربوبية الله كما ان الاية التالية الدالة على البعث والنشور تدل على نكران قوم نوح عليه السلام ليوم البعث لذا نرى الايات تاتي بفعل نخرجكم اخراجا بصيغة فعل موكد وهي ظاهرة انزياح اتت استجابة لنكران القوم حتى تثبت حتمية حدوث القيامة.

ومن تجليات الانزياح الدلالي قوله تعالى ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (نوح، ٢١) مما يلاحظ هنا ان نوح عليه السلام وان كان ظاهر كلامه الاخبار الا انه يحمل دلالة التشكي والتضجر من قومه نظرا إلى ان حديثه مع ربه الذي يعلم بكل شي كما ان تاكيد الكلام في حديثه مع الله جل وتعالي رغم ان الله عالم بالامر يأكد حالة غضب نوح من قومه وهي ظاهرة انزياح اسلوبي كثيرا ما ترددت في اثناء الايات.

المستوى الايقاعي في السورة:

ومن ابرز الظواهر الاسلوبية على المستوى الصوتي والتي تحمل دلالات بلاغية في هذه السورة هي تكرار حرف الألف في هذه الاية والايات التي تليها واذا ركزنا في هذا القسم نجد ان خطاب نوح قد تغير فيه من حالة ابلاغ القوم إلى حالة الحزن والياس من عدم استماعهم وقبولهم لدعوته مما اثار فيها الشعور بالأسي تجلي في كثرة استخدام حرف الالف في تضاعيف الايات و فواصلها المتمثلة في "نهارا و استكبارا جهارا اسرارا و غفارا ومدرارا وانهارا و وقارا واطوارا" وهذا الحرف كما هو معروف قريب عن كلمة الآه التي يطلقها

المتألم حين حزنه واسفه وهذه هي حالة نوح عليه السلام بعد عزوف قومه عن دعوته التوحيدية.

ومن نماذج التكرار المعنوي قوله ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح، ٩)

يلاحظ ان نوح صرح انه دعا قومه جهارا ثم اردف ذلك بانه دعاهم اعلانا وبذلك تكرر معنى اظهار الدعوة مرتين في لفظي جهارا واعلنت وهذا التكرار المعنوي شكل هنا ظاهرة انزياح اسلوبي ليدل على اجهار نوح المستمرّ في دعوته وعدم توقفه عن ذلك طيلة عمره حرصا على قومه وتنفيذا لأمر الله جل وتعالي.

ومن طواهر الانزياح الصوتي ايضا تكرار كلمة الكفر في قوله تعالى ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح، ٢٧)

ويلاحظ هنا ان تكرار الكفر في مفردتي (الكفرين والكفار) انما يوحي بشدة كفر قوم نوح واعراضهم عن الدعوة الدينية. من المواقف التي توكد ان صاحب الرسالة ينصبغ بمشاعر الرسالة ولا يخضع لضغوط فكرية فرضها عليه الحوار، ما نراه هنا في حديث نوح عليه السلام حينما دعا على قومه وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين.....كفارا. فهذا الموقف منه عليه السلام لم يكن من خلال الموقف الانفعالي او رد فعل، وانما كان الدعاء عليهم منسجما مع موقع الرسالة، فقد جاء هذا الدعاء بعد ان استنفد امامهم جميع وسائل الاقناع: قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزد هم دعائي الا فرار... اسرار، فبعد ان اوحي الله اليه انه لن يومن الا من قد امن، بعد هذا الاستنفاد ياتي الدعا عليهم، وذلك من باب كونهم يشكلون قوه ضاغطة لمبدا الكفر، وهكذا لاحظنا ان ردود الفعل كانت منسجمة مع مبدا الرسالة، فهو لم يلجا إلى هذا الأسلوب الا بعد ان لمس الياس من ايمانهم، وقد بدا هذا التدرج النفسي واضحا، اذ كان خطابه لقومه مصحوبا بلفظ يا قوم، لكن لما جاء لسانهم طلب العذاب، وفهم منهم انهم لن يغيروا موقفهم كما نلمس ذلك في المقطع الذي ورد في سوره هود قالوا يا نوح قد جادلتنا.....صادقين، بعد هذا الاعلان منهم نجد ان سيدنا نوح عليه السلام بدا يظهر من كلامه انه يريد ان ينسلخ منهم من الناحية النفسية، فقد كان كلامه بعد هذا الاعلان خاليا من لفظة يا قوم التي لمسناها قبل هذا

الاعلان، هكذا جاءت قال انما يأتيكم به الله....ترجعون. فالظاهر انه بعد ان لمس عليه السلام من حديثهم الياس بدا ينسلخ منهم تدريجيا وبذلك يمكن ان يعلل سبب خلو هذا الأسلوب من استمالتهم، ويطمئننا إلى هذا الراي قوله بعدها واوحي إلى نوح انه لا يومن... يفعلون، فما كان لمسه نوح عليه السلام من حديثهم اخبره الله به صريحا، وهكذا نلحظ ان الحوار يطلعنا على المراحل النفسية التي يمر بها المحاور مع خصومه والله اعلم بالصواب(١٥).

نتائج البحث:

تجلت في هذه السورة العديد من فنون الانزياح في مختلف المستويات النحوية الصرفية والايقاعية والدلالية حتى انها اضفت على السورة طاقة تأثيرية بالغة. اما على المستوى الايقاعي فنري تكرار حرف الالف في فواصل الآيات كما في تكرار بعض الكلمات اما المستوى الصرفي النحوي والصرفي فنري فن التقديم والتأخير، وفن النداء، والعطف بحروف النسق، والذكر والحذف في المستوى التركيبي وأما على المستوى الدلالية استخدام مفردات دون أخرى وقد كشفت هذه الظواهر بمجملها عن العديد من الدلالات الهامة فضلا عن خلق الجماليات الفنية في تضاعيف السورة تتمثل في شدة كفر قوم نوح وتشبثهم المستميت بأصنامهم، وانغماسهم المتمادي في النعيم الدنيوي، وصدوفهم الفاحش عن الدعوة الوحدانية من جانب، وحرص نوح العظيم على هدايتهم وشدة أساه وحزنه لأعراضهم عن مسار التوحيد الرباني، ورحمته الواسعة وصبره الجميل من جانب اخر.

هوامش البحث

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٣، ص٣٩.
(٢) أحمد مختار معجم اللغة العربية المعاصرة، ص١٠١٤.
(٣) إسماعيل شكري، نقد مفهوم الانزياح، ، ٢٣
(٤) محمد ويس، الانزياح من خلال الدراسات الأسلوبية، ص ٨٢.
(٥) كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص١٦.
(٦) عبدالمطلب، البلاغة والاسلوبية، ص١٩٨.
(٧) النوري، اسلوبية الانزياح في النص القرآني، ص٨

(٨) سليمان، فتح الله، الاسلوبية مدخل نظري، ص١٩
(٩) المسدي، الاسلوبية والاسلوب، ص١٠٢.
(١٠) صلاح، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، ص ٢١٢.
(١١) ربابعة، الاسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص٦٩
(١٢) بودوخه، الاسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، ص٢٠
(١٣) المنذري، الترغيب والترهيب، ٢٩٦/٢
(١٤) آلوسي، روح المعاني، ٧٩/٢٩.
(١٥) الجيوسي، التعبير القرآني الدلالة النفسية في القرآن، ٤٤٦.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم

١. ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، ١٩٧٩.
٢. الآلوسي، محمود أبو الثناء. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣. بودوخة، مسعود، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١.
٤. الجيوسي، عبدالله محمد، التعبير القرآني الدلالة النفسية، دمشق، دار الغوثاني، ٢٠٠٦.
٥. عبدالمطلب، محمد، البلاغة والاسلوبية، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٤.
٦. كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمه محمد مولي، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٦.
٧. فضل، صلاح، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
٨. سليمان، فتح الله، الاسلوبية مدخل نظري، الدار الفية للنشر، د ت.
٩. سامح ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها. كويت: جامعة الكويت.٢٠٠٣.
١٠. شكري، إسماعيل، نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكر ونقد، العدد ٢٣، ١٩٩٩.
١١. مختار عمر، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١.
١٢. المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣.
١٣. النوري، احمد غالب، اسلوبية الانزياح في النص القرآني، رسالة لنيل درجة الدكتوراه جامعة موتة، ٢٠٠٨.
١٤. ويس، محمد، الانزياح من خلال الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات، ٢٠٠٥.